

النزعة التاريخية في الأدب الشعبي The Historical Dimension of Folk Literature

مجد الجزيراوي
المعهد الوطني للتراث، تونس
meljaziraoui@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2025/07/03 تاريخ القبول: 2025/07/31 تاريخ النشر: 2025/07/31

Abstract:

Traditional heritage is composed of four sections: material culture, popular beliefs and knowledge, customs and traditions, and folk literature. The most important components of this last section are that it is expressed in colloquial language, transmitted orally, anonymous in authorship, and passed down from generation to generation. It includes songs, legends, proverbs, sayings, popular poems. Popular literature has inspired musicians and theatre artists, and I think it is time to recognize it as a source of historical writing. This is what the article will seek to highlight. Therefore, it is necessary to subject popular literature, as a document, to the same method applied to other recognized historical sources, such as comparison and critical analysis. The second part of this work will present the results of examples from Tunisian historical studies that have benefited from oral texts, both within Tunisia and across the Tunisian-Algerian and Tunisian-Libyan border.

Keywords: Folk literature - Historical document - Historical writing - Oral heritage - Folk poetry.

ملخص: يحتوي التراث الشعبي، على أربعة أقسام: الثقافة المادية، المعتقدات والمعارف الشعبية، العادات والتقاليد الشعبية والأدب الشعبي، ولهذا القسم الأخير مقومات أهمها أنه عامي اللغة، شفاهي التداول، مجهول المؤلف ويتوارث جيلا عن جيل، ويشمل جملة من الأجناس لا يمكن تفضيل جنس منها عن آخر فجميعها تكتسب نفس القيمة والأهمية، ومن بينها الأغاني والسير والأساطير والأمثال والأقوال والحكم والنوادر والحكاية والشعر الشعبي. تم الاستلham من الأدب الشعبي في الأعمال الموسيقية والمسرحية وأعتقد أنه آن الأوان للاعتراف به كمصدر من مصادر الكتابة التاريخية، وهذا ما سيسعى المقال إلى إبرازه من خلال إبراز شروط ذلك ولعل أهمها إخضاعه لما تخضع عليه بقية الوثائق المعترف بها كالمقارنة والتدقيق والتمحيص. سيقدم هذا العمل في مرحلة ثانية النتائج التي تم الوصول إليها عندما تم الاعتماد على نماذج من نصوص الأدب الشعبي في بعض الدراسات حول تاريخ تونس المعاصر وعلى الجانب الآخر من الحدود التونسية الجزائرية والليبية.

الكلمات المفتاحية: أدب شعبي - وثيقة تاريخية - كتابة تاريخية - تراث شفوي - شعر شعبي.

يحتوي التراث الشعبي، على أربعة أقسام وهي الثقافة المادية، المعتقدات والمعارف الشعبية، العادات والتقاليد الشعبية والأدب الشعبي⁽¹⁾، ولهذا القسم الأخير مقومات عدة منها أنه أدب عامي اللغة، شفاهي التداول، مجهول المؤلف ويتوارث جيلا عن جيل⁽²⁾، ويشمل جملة من الأجناس لا يمكن تفضيل جنس منها عن آخر فجميعها تكتسب نفس القيمة والأهمية، ومن بينها الأغاني والسير والأساطير والأمثال والأقوال والحكم والتّوادر والحكاية والشعر الشعبي⁽³⁾.

ومن هذا المنطلق أعتقد أن الأدب الشعبي يعتبر من بين أهم عناصر الرواية الشفوية وبالتالي حري به أن يكون من بين الوثائق التي تعتمد في كتابة التاريخ، فقد استلهمت من مخزون هذا الأدب الأعمال الموسيقية والأدبية، نثرا وشعرا، والمسرحيات والأفلام السينمائية واللوحات الفنية التشكيلية، وفي مجال الدراسات استفادت منه البحوث اللغوية وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ونعتقد أن الكتابات التاريخية التي استفادت منه قد أثبتت أيضا جدواه في هذا العلم.

لقد سجل الأدب الشعبي بمختلف أجناسه مظاهر الحياة اليومية والأنشطة الاقتصادية الموسمية والأحداث والوقائع السياسية والعسكرية، لذلك يبدو البحث والتنقيب فيه حاجة ملحة⁽⁴⁾، خاصة وأن كتابات التاريخ الرسمي قد اهتمت بالنخب على حساب الفئات الشعبية لسببين اثنين: أولهما ندرة المصادر والمراجع المتصلة بتاريخ عامة الناس الذين لا يشاركون في كتابة ما هو مدون وتسود بينهم الأمية، وثانيهما اتجاه الدراسات التاريخية إلى تغليب النظرة الوطنية بما تعنيه من شمولية وكلية⁽⁵⁾. كما توجد عدة أحداث ووقائع لا يمكن كتابة تاريخها انطلاقا من المكتوب فقط إذ لا بد لتراث الشفوي عموما والأدب الشعبي خصوصا أن يحتل فيها مكانة أساسية ضمن قائمة المصادر المعتمدة، ومن بينها مثلا ما يتعلق بكتابة تاريخ بعض المقاومين الذين شاركوا في الكفاح الوطني أو تاريخ المناطق النائية البعيدة عن مقرات السلطة لاسيما الأحداث والمعارك المسلحة.

إذن يصبح من المفيد البحث في الموروث الأدبي الشعبي، كجزء من الرواية الشفوية، للاستفادة منه في كتابة التاريخ خاصة وأنه ما عادت الوثيقة المكتوبة أداة وحيدة لاستخراج المعلومات والبناء عليها، إذ اتسعت المصادر مع أعمال التاريخ الجديد لتشمل الصورة والرسم وأي تعبير فني بل أي تعبير إنساني آخر وفي طليعته التعبيرات الشفوية⁽⁶⁾. لكن لن يكون ذلك بدون ضوابط علمية صارمة تطبق فيها قواعد الكتابة التاريخية وشروطها، وهو ما ستعمل عليه هذه الورقة التي ستهتم بشروط توظيف أجناس الأدب الشعبي كوثائق يمكن الاعتماد عليها في كتابة التاريخ، وستبين، في مرحلة ثانية، مدى نجاح بعض الكتابات حول التاريخ المعاصر في بعض البلدان المغاربية.

شروط توظيف مواد الأدب الشعبي كوثيقة تاريخية

يُعد الأدب الشعبي واحدا من أبرز موضوعات التراث الشعبي وأكثرها عراقة⁽⁷⁾، وكل جنس من أجناسه إنما يهدف إلى تفسير جوانب من الحياة⁽⁸⁾، فالحكاية الشعبية تختص بالحوادث التاريخية الصرفة أو بالأبطال الذين يصنعون التاريخ، وهي تطلعنا في وضوح وصراحة تامة على موقف الشعب من أحوال عصره السياسية والاجتماعية معا⁽⁹⁾.

كما تهض الأغنية الشعبية بالوظائف الحيوية والاجتماعية والفنية إلى جانب تسجيل التاريخ فهناك أغان شعبية يمكن أن يطلق عليها اسم أغاني التقويم لأنها ترتبط بمناسبات لها تواريخ معينة في التقويم⁽¹⁰⁾. أما المثل الشعبي فيشير في كثير من الأحيان إلى حوادث لها أهميتها في عصر ما⁽¹¹⁾، وقد تعين النكتة في يسر على تحديد الزمان والمكان الذين نشأت فيهما⁽¹²⁾، ومثلهما بقية الأجناس التي تعبر عن محتوى ثقافي وتاريخي.

لا يختلف اثنان في أن مضمون الشاهد المتوفر من الأدب الشعبي يرتبط مثل غيره من مصادر الكتابة التاريخية بأنه نتاج ملاحظة حقيقية أو معايشة حدث وقع في الماضي، وبالتالي فإن هذا المنتج الشفوي لا بد أن يخضع مثل غيره لعملية النقد المعتادة ويمر تحت مجهر الاختبار، فالمؤرخ الذي يستخدم المأثورات الشفاهية ليس في وضع يختلف كثيرا عن وضع المؤرخ الذي يستعين بأخبار العصور الوسطى أو الأخبار المتناقلة من خلال جمهور أجيال من الناسخين تتفاوت مستويات ثقافتهم وتخصصهم وأمانتهم العلمية⁽¹³⁾.

يخضع إذن كل مصدر من مصادر الأدب الشعبي للنقد المعتاد ويقارن بأي مصدر آخر متاح يمكن أن يشهد بصلاحيته، ويتضمن ذلك عمليتي النقد الداخلي والخارجي مثلما جاء في كتاب "المأثورات الشفاهية" لعالم الأنثروبولوجيا البلجيكيان فانسينا⁽¹⁴⁾، ويتمثل النقد من الخارج في التعرف على آليات التناقل الشفوي ومراحله وأشكال التناقل وأساليب التلاعب أو التعديل أو التدخل بالتغيير إن وجدت، أما النقد الداخلي فيقصد به المضمون الأدبي والمعنى الرمزي للمصدر المرتبط بالشاهد.

لكن فانسينا يهانا، من جهة أخرى، في المغالاة في الحذر والإفراط في متابعة التحقيق العلمي الذي قد ينتهي بالباحث الذي يحاول العثور على أي خطأ في النص الشفوي تمهيدا لإمكانية إدانته، فالغالب أن عمليات التزييف والتحريف في هذا النوع من الشواهد التاريخية لا تقل أهمية أو تأثيرا عما هو موجود في أي نوع آخر من الشواهد عند التأريخ لأي حقبة أو فترة زمنية⁽¹⁵⁾، فالثقافات المعروفة والمدونة اليوم كانت في الأصل ثقافات شفوية ومنها الإلياذة والأوديسة وغيرهما من آثار اليونان القديم كانت في الأصل شفوية.

إن من يظن أن الروايات الشفاهية لا تصلح كوثائق ومستندات لدراسة التاريخ قد يتراجع عن رأيه إذا تذكر أن أغلب الوثائق المدونة كانت في الأصل روايات شفاهية متناقلة قبل أن تدون، وعلى هذا الأساس فإن الوثائق الشفوية لا تقل أهمية عن الوثائق المدونة، ولا تتفوق الأخيرة على الأولى إلا بكونها تخضع لطرق متعددة للتأكد من خلوها من التزوير، ولكن ليس من الصعب أن نضع ضوابط مماثلة لإثبات صحة هذه الوثائق الشفوية قبل تسجيلها بواسطة آلات التسجيل أو تدوينها.

يجب على المؤرخ الذي يستخدم الأدب الشعبي كشواهد تاريخية أن يكون على دراية كافية بطبيعة الإطار الثقافي والبناء الاجتماعي للجماعة التي يؤرخ لها والتي يعنىها هذا الشاهد وخاصة اللغة، ونؤكد هنا على اللهجة، التي تنقل بها هذه المأثورات والأسلوب الذي تحكى به. لا بد وفي صلة بالشرط السابق أن يتقن المؤرخ عملية الجمع الميداني ويكون عمله دقيقا جدا، لذلك عليه أن يحسن اختيار عينات الإخباريين الذين سيتعامل معهم وينقل عنهم المادة التاريخية التي يتضمنها الأدب الشعبي، كما يجب عليه أن يعلن عن مهمته الأساسية وبكل وضوح ثم لا بد عليه من إجادة عمليات التسجيل والتصنيف والتخزين والحفظ. يمكن أن يستتبع الاهتمام بالأدب الشعبي تصحيح تاريخ بعض الأحداث والوقائع التاريخية، فالجهد التقييمي لم يعد مقصورا على المدونات والنقوش والآثار المادية وحدها

وإنما أصبح يشمل النصوص الشفاهية والروايات التي تنتقل من فرد إلى فرد ومن جيل إلى جيل ومن بيئة إلى بيئة بواسطة التلقي أو الحفظ أو التردد⁽¹⁶⁾.

أعتقد أن الرقابة الذاتية التي كانت تمنع المؤرخين من الاستفادة من الشواهد التاريخية التي يقدمها الأدب الشعبي بمختلف أجناسه قد تلاشت اليوم حيث كانت تسيطر على البعض منهم فكرة اقترانه بالرجعية والتأخر فنظروا إليه وكأنه عامل من عوامل الانحطاط مثله مثل الانثروبولوجيا التي وصفت في بداية ظهورها بالعلم الاستعماري⁽¹⁷⁾.

نماذج من دراسات تاريخية تونسية استفادت من الأدب الشعبي

بعيدا عن الدراسات الجامعية التي تعد لنيل شهادت علمية ظل توظيف الأدب الشعبي في كتابة التاريخ بمنأى عن العمل الأكاديمي إلا على ما ندر، وحتى الذين اهتموا به كانت تربطهم به وشائج وجدانية فهم ينتمون في الغالب للمناطق التي كتبوا حولها فكانوا مهئين لذلك⁽¹⁸⁾، وحتى إن وُظّفه هؤلاء في دراساتهم وبحوثهم حول تاريخ تونس المعاصر فانه ظل توظيفا متفاوتا إذ بدأ محتشما في بعض الكتابات ومصدرا أساسيا يُعتمد به في أخرى.

بدت مظاهر التهميش مثلا في مستوى اعتماد الشاهد من الأدب الشعبي في هوامش النصوص لا في متونها، فقد تمت الإحالة على مرجع يتعلق بالأمثال الشعبية في إحدى الدراسات كما يلي: "الطاهر الخميري، مختارات من الأمثال العامة التونسية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1967، صفحات 20-89-163-204-205 على سبيل المثال"⁽¹⁹⁾، فالمؤرخ هنا لم يكلف نفسه حتى إيراد هذه الأمثال الشعبية، فهل المسألة تتعلق بالتقليل من قيمة المثل الشعبي كوثيقة تاريخية؟، لقد ورد مثل شعبي في دراسة أخرى، ونصه *الشَّرْكَةُ تَصَيِّعُ الْبَرْكَةَ*⁽²⁰⁾، في هامش الصفحة وهو تطور ملحوظ مقارنة بالدراسة الأولى.

مقابل ذلك فقد أثبتت تجارب الاستفادة من الأدب الشعبي في كتابة التاريخ النضالي والاقتصادي والاجتماعي لعدة مناطق وفئات اجتماعية أهميته وقيّمته الكبرى، ومن نماذج الدراسات التي وظفت الأدب الشعبي كمصدر وحيد في كتابة التاريخ يمكن ذكر تناول الأوضاع الاجتماعية لتونس العاصمة في بداية القرن العشرين من خلال قصيد عبد الرحمان الكافي *الصَّبْرُ لِلَّهِ وَالرَّجُوعُ لِرَبِّي*⁽²¹⁾، كما اتخذ مصدرا وحيدا أيضا لكتابة جزء من تاريخ الجنوب الغربي التونسي بين سنتي 1856 و1919 تمكن خلالها صاحب العمل من إبراز قيمة الشعر الشعبي في معرفة جزئيات من الأوضاع الاجتماعية بهذه المنطقة قبيل الاستعمار الفرنسي وأهمية مساهمتها في الجهد النضالي في بداية الاحتلال⁽²²⁾.

كما استشهدت كتابات أخرى حول تاريخ تونس المعاصر ببعض الأمثال، ففي دراسة "الاحتياج والمحتجون بتونس العاصمة في فترة الاستعمار الفرنسي (1856-1918)"⁽²³⁾ استعمل المؤرخ بعض الأمثال الشعبية، ففي سياق حديثه عن مبادئ التكافل بين سكان المدينة أورد مثلين شعبيين وهما *الْجَارُ لِلْجَارِ رَحْمَةٌ وَالْجَارُ قَبْلَ الدَّارِ*⁽²⁴⁾، وأضاف مثلا آخر وهو *حُوكِي وَجَرَّابِي*⁽²⁵⁾.

أما في بحث "النخب الاجتماعية التونسية زمن الاستعمار الفرنسي" فكانت الأمثال الشعبية أكثر توظيفا، فمن بين الأمثال التي استخدمت *قَالُوا يَا بَابَا هَيَا نَوَلِيُوا شُرْفَا قَالُوا حَتَّى يُمُوتُوا كِبَارُ الْحُومَةِ*⁽²⁶⁾، وما يتميز به صاحب هذه الدراسة عن سابقه أنه يمنح القارئ فرصة أوفر لفهم مقصده من خلال ادراج تفسير وتحليل للمثل الشعبي الذي يسميه بالمثل العامي⁽²⁷⁾. وظّف نفس المؤرخ في مناسبة أخرى القول الشعبي *المأثور يا وسَلَاتِيَّةُ يَا كَسَابِيْنُ النَّحْلُ*

يَشْتَتِ جَمْعُكُمْ كَيْبَتْ النَّحْلِ فِي عَامٍ جَادِبٍ مَا فِيهِشْنَ عَسَلٌ، وهو دعاء أحد الأولياء الصالحين على الوسلاتية من الذاكرة الشعبية بجهة القيروان⁽²⁸⁾، وتجد القول جنبا إلى جنب مع شهادة مأخوذة من وثيقة موجودة في خزانة الأرشيف الوطني ضمن رسائل القياد ممثلي السلطة في الجهات، ومن بين ما تضمنت "وكما تعلم يا سيدي رعاكم الله أن الوسلاتية مكروهين في البلدان"⁽²⁹⁾.

استفاد نفس المؤرخ في نفس هذه الدراسة من الأغاني الشعبية ومنها أغنية مع العزّابة⁽³⁰⁾، وكان شديد الحذر في توظيف هكذا مصادر، إذ يقول "لا تخلو التأويلات والاستنتاجات انطلاقا من الأغاني والأزجال الشعبية من مجازفة فهي تبقى من المصادر الثانوية جدا في عمل المؤرخ رغم ذلك ومن خلال هذه الأغنية الشهيرة يتضح أن عملية التشتيت التي عرفها الوسلاتية أخذت أبعاد ورموز لعل أهمها المحنة التي أصابت المرأة"⁽³¹⁾. استند أيضا على الشعر الشعبي وخاصة ما وجدته في وثيقة تاريخية موجودة في الأرشيف الوطني، وهما بيتين:

المَصْبُطُ مَا يَدْرِي عَلَى الْحَافِي وَالْحَافِي مِسْكِينُ بَادُ عِصَاهُ
وَمِنْ بَاتٍ فِي فَرِشٍ دَافِي مَا يَدْرِي عَلَى الْعَرِيَانُ وَأَشْ غِطَاهُ⁽³²⁾

وظّف محمد ضيف الله أيضا الموروث الشفوي في كتابه حول تاريخ نفزاوة حين أورد كلمات أغنية حول التوارق كانت نساء تلك المنطقة يرددنها على مسامع أبنائهن ورجّح أن منشأها يعود لفترة الاضطرابات التي شهدتها الجنوب التونسي عامة إبان الحرب الحسينية الباشية والفترة التي تلتها. تقول كلمات الأغنية:

أَنَا التَّارْفِي وَلَدُ التَّارْفِيَةِ *** قُطَاعُ طَرِيْقُو الصَّخْرَا لِيَا
أَنَا التَّارْفِي وَعَيْنُ غَزَالَةٍ *** إِسْمِي مَشْهُورٌ فِي كُلِّ عِمَالَةٍ
بِالْخَنْجَرِ نَقَطَعَ قُلُوبَ الرِّجَالَةِ *** وَلَا تَمَّ وَاحِدٌ يَتَمَنَّقَدُ بِيَا⁽³³⁾

يعتبر الأديب الراحل محمد المرزوقي أكثر من جمع الشعر الشعبي في تونس ووثق له واستفاد منه في كتابة تاريخ الحركة الوطنية التونسية وخاصة النضال المسلح لبعض الأبطال بدواخل البلاد⁽³⁴⁾، ولإبراز قيمة الشعر الشعبي كوثيقة تاريخية يقول في تقديمه لإحدى الكتب بأن الشعر الشعبي المعبر الوحيد منذ انتصاب الحماية عن رأي الشعب في الاستعمار والمؤرخ التزيه لأحداث المقاومة الايجابية والسلبية، لذلك فهو سجل حافل بالوثائق الدسمة في تاريخ ماجد⁽³⁵⁾. لقد وقف الشعراء الشعبيون فعلا إلى جانب الثائرين من التونسيين ووصفوا وقائعهم وأبرزوا الأبطال منهم وخصوصهم بالقصائد الطويلة⁽³⁶⁾. استفاد المرزوقي مثلا مما جمعه في كتابة فصول من تاريخ منطقة نفزاوة من الجنوب الغربي التونسي أثناء فترة الاحتلال الفرنسي وفي هذا الإطار يمكن التذكير بما أورده من قصائد قيلت من طرف عامل نفزاوة أحمد بن حمادي وشاعر قبيلة العذارى، وتدور فحواها حول مراحل الصراع بين الطرفين، ومن بين ما قاله بن حمادي عندما تحصن العذارى بالصحراء ولم يقبلوا العودة للديار:

يَهْبُ الشَّيْطَانِي وَيَكْبُرُ الْغُلْبَانِي ***** فِي وَينَ تَمَشُّو يَا كِلَابَ تَجُونِي⁽³⁷⁾

فرد عليه شاعرهم:

لَا نَطَاوَعُوا الرُّومِي وَلَا نُدُولُهُ ***** مَا دَامَ لِينَا التَّوَسِيعَةُ مَحْلُولُهُ⁽³⁸⁾

ولما أعد العامل العدة للهجوم عليهم في نجوعهم، راسلهم أحد أقاربهم قائلا:

رُومُوا الشَّيْطَانِي وَاشْرَبُوا الْأَصْرَادِي ***** يَا سَاكِنِينَ الْحَقْفُ زِيدُوا غَادِي⁽³⁹⁾

تمدنا هذه الرواية الشعرية بصورة واضحة عن علاقة السلطة المحلية بمنظورها في فترة تاريخية ما في منطقة صحراوية نائية من البلاد التونسية لا تنتشر فيها ثقافة المكتوب إلا فيما ندر، ويمكن مع مراسلات العامل مع السلط المركزية يمكن لهذه الوثيقة من الأدب الشعبي لأن تصبح من الوثائق النادرة. لقد استفاد من كُتِبَ حول تاريخ نفس المنطقة من الحكايات الشعبية، وكذلك الأساطير خاصة تلك التي تتعلق بتأسيس التجمعات السكنية وأصول السكان والأولياء الصالحين⁽⁴⁰⁾، فهي توفر كغيرها من أجناس الأدب الشعبي مادة ثرية يمكن أن تقارن بما يوجد في الأرشيف الوطني التونسي من مراسلات وقوانين ووثائق جباية.

نماذج من دراسات تاريخية استفادت من الأدب الشعبي في حدث ليبي تونسي مشترك

لقد سجل الأدب الشعبي مختلف مظاهر المقاومة المسلحة والثورة ضد الحكم العثماني في مختلف مناطق شمال إفريقيا التي سيطروا عليها وقد وثّق الشعراء الشعبيين المعاصرين للأحداث في تونس نموذج للمقاومة المشتركة بين الليبيين والتونسيين مما يجعلها مادة قد تضيف الكثير للدراسات التاريخية. وقد انتبه عدد من المؤرخين والباحثين لهذا الجانب وأهميته التوثيقية بعد أن كانت الكتابة التاريخية تقتصر على المصادر العثمانية والعربية والغربية⁽⁴¹⁾، فقد بدأت تطرح في العقود الأخيرة وبقوة فكرة ضرورة الاتجاه إلى الرواية الشفوية بكل فروعها، أي إلى حديث الناس الذين شاركوا في تلك المعارك أو الرواة، وإلى الشعراء الذين عبروا بأشعارهم عن مآسي هذه المرحلة، وعن موقف الليبيين خلالها، وعن مجرياتها، وعن طريق هذه المعلومات والشهادات وتجسيدها من خلال الشعر، يمكن للباحث المدقق أن يجمع مصادر تلك المرحلة من النضال من أطرافها مباشرة⁽⁴²⁾.

في هذا الإطار سنتناول ثورة غومة المحمودي وقيمة ما يروى من شعر شعبي يؤرخ لمراحل كفاحه في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر لاسيما في مراحلها الأخيرة أي تلك التي دارت على الأراضي التونسية الجزائرية. يذكر التاريخ الشفوي المحلي بجهة نفزاوة⁽⁴³⁾ مثلا أهم معركة من معارك غومة بـ "عام خلاء قبلي" وهو الموافق لسنة 1857. ففي أواخر هذه السنة⁽⁴⁴⁾ هاجمت الحكومة التونسية ومن معها من القبائل هذه القرية التي احتوى بها غومة وأنصاره مما نتج عنه سقوط قتلى وجرحى وتخريب القرية، وهو موثق بقصيد شعبي للشاعر المكي الحامدي يؤرخ فيه لحدث ويصف فيه المعارك:

عَامُ أَرْبَعَةٍ وَسَبْعِينَ يَا عَيْنَ *** تَارِيخَهَا فِي السِّفَايِرِ
قُبْلِي وَبَنِي يَزِيدَ غَافِلِينَ *** جَاهَمُ صَحِيحُ النِّدَايِرِ
هَمَّامٌ وَجِلَاصٌ لِثَنِينَ *** وَنَقَّاتُ طَاسِ الْخِمَايِرِ
جَوْ لَهْلَنَّا مَغْلِلِينَ *** مِثْلُ جِرَادِ النِّشَايِرِ
دَارُوا عَلَيْهِمْ دُورِينَ *** خُلْخَالُ عِ السَّاقِ دَايِرِ
ظَهَرُوا لَهُمْ فِي الْقِفَاطِينَ *** أَوْلَادُ يَقْدُوا الْكِشَايِرِ
عَادَ الضَّرْبُ فِي الْمِسَالِينَ *** خَشُوا الْخُنُقَ وَالْقِفَايِرِ

تُتِمُّ هذه القصيدة مختلف الوثائق التي اعتمدها عدد من المؤرخين الذين كتبوا عن غومة المحمودي مثل الطوير محمد من ليبيا والشيواني ببلغيت من تونس، وهذا الأخير كان قد أرَّخ للحدث مستعينا ببعض وثائق الأرشيف الوطني التونسي وكتاب الإتحاف لابن أبي الضياف باعتباره معاصرا للأحداث⁽⁴⁵⁾.

تؤكد هذه الأبيات على التاريخ الهجري للحدث وهو سنة 1274 الموافق لسنة 1857 ميلادي كما تعدد من جهة أخرى حلفاء غومة وأهل قبلي وهم من بني يزيد وتذكر من هم ضده من المواليين للباي ومحلته مثل قبائل الهمامة وجلاص وثفات. بعد مغادرته منطقة نفزاوة شب خلاف بين مجموعتين ممن كانوا معه في منطقة جنين في أقصى الجنوب التونسي انتهت بانسحاب واحدة منهما وهو ما حز في نفسه، تؤكد الكتابات التاريخية هذا الحدث⁽⁴⁶⁾، وتضيف لنا الروايات الشفوية وثيقة أخرى تتمثل في بيت من الشعر الشعبي قاله غومة نفسه كتعبير عن أسفه لما حدث:

حَزَبْتُ بِيَكُم دِرْتِكُمْ مِنْ صَقِي *** وَصَرَّيْتُكُم فِي إِيْدِي نَفْبَتُوا كَقِي⁽⁴⁷⁾

كما يبدو أن قريحة بعض المتشائمين قد جعلت من مصير غومة عبرة، فهم يرددون بيتا على لسانه يقول فيه:

عَدَلْتَهَا مِنْ كُلِّ شِيرَةٍ مَالَتْ *** مَهْبُولٌ مِنْ قَالِ الْحَيَاةَ مَا زَالَتْ

وهناك من جعله مضربا للأمثال:

لَيَّامٌ مَا دَامَتْشِي حَتَّى لِعُومَةٍ *** كُلُّ مَا جَرَى بَاتَتْ عَلَيْهِ مِشُومَةٍ

تبرز قيمة الأدب الشعبي، من خلال أبيات الشعر الشعبي، كوثيقة تاريخية حول حرب غومة ضد العثمانيين في توثيق الأحداث التي شهدت مشاركة الليبيين والتونسيين من حيث مضمون الحدث في تواريخه ومراحلته والشخصيات التي تحركه، أما من حيث المنهجية فهي تمنح المؤرخ فرصة ثمينة لقراءة التاريخ برؤية جديدة حيث أن الدراسة التاريخية الحديثة هي تلك التي تدعو إلى دراسة التاريخ من القاعدة إلى القمة وليس العكس، وذلك بدراسة الأحداث من وجهة نظر الجماهير التي شاركت في صنع الحوادث⁽⁴⁸⁾.

نماذج من دراسات تاريخية جزائرية استفادت من الشعر الشعبي

اهتمت العديد من الدراسات التاريخية في الجزائر بالمادة الثرية التي يتيحها الأدب الشعبي والتي يمكن أن تساهم في كتابة التاريخ لاسيما تلك التي تتعلق بالمعارك البطولية ضد المستعمر والتي تجلت خصوصا في الشعر الشعبي. لقد صورت عدة قصائد شعبية ملاحم أبطال المقاومة بكل تفاصيلها حيث، وأنت تقرأ القصيد أو تسمعه، فكأنك تشاهد الأحداث صوتا وصورة بل وتبرز في جانب منها الوعي الذي بلغه الشعراء ودرايتهم بمجريات الأحداث في الداخل والخارج على أساس أن بعضهم كانت لهم مشاركة فعالة فيها.

وفي هذا الإطار تناول بركة بوشيبة، في دراسته المعنونة بـ "الفعل الثوري مظهر من مظاهر وحدة المجتمع الجزائري"⁽⁴⁹⁾، مسألة تاريخية على غاية كبيرة من الأهمية وهي كون الوعي الوطني الجزائري غير منعزل عن الوعي العالمي لاسيما في ظرفية ما بعد الحرب العالمية الثانية وانتشار مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها. وتتجلى هذه الفكرة في عدة قصائد لشعراء شعبيين جزائريين اختار لنا منها قصيدة أحمد كرومي التي أبرزت أهمية ثورة 1954، والتي يقول فيها:

قَاغُ الشُّعُوبُ حَيَاةَ الشَّاكِيَةِ مِنْ هَمِّ السَّيْطَرَةِ *** يَا حَيَاتِي نُوظُّوْا تَجَاهُدُوا فِي جَيْشِ الْعِدْيَانِ

في هذا البيت يوازي الشاعر بين الشعب الجزائري الذي يئن تحت وطأة الاستعمار الفرنسي ومن في نفس وضعيته من الشعوب التي انتفضت وكسرت الطوق بالفعل الثوري ويدعوه بدوره إلى الانتفاضة. يفسح الشاعر إذن عن طبيعة فعل التفجير – الثورة – بعبارة "نُوظُّوْا تَجَاهُدُوا فِي جَيْشِ الْعِدْيَانِ"، ويصرح به دون التزام أسلوب بلاغي

معين أو اللجوء إلى قرينة دالة ليظهر فعل الثورة جليا لأن الشعب الجزائري موسوم بالبطولة والنضال منذ القديم ويظهر ذلك في نماذج المقاومة الجزائرية عبر التاريخ في الحروب ضد الرومان والبيزنطيين والفرنسيين... من جهة أخرى يبدو الشاعر ليس على علم بأهم نتيجة من نتائج الحرب العالمية الثانية فقط، وهي مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، بل هو أيضا على دراية بعراقلة التاريخ النضالي على أرضه، وهي شهادة على كونه مثقف واع.

يمكن القول أن هذا البيت، والقصيدة ككل، يدعم ما ذهبنا إليه من كون الأدب الشعبي يمكن أن يكون وثيقة مساهمة في كتابة التاريخ مع جملة الوثائق التي توظف لاسيما في الحدث الوطني، كما يمكن أن يكون أيضا وثيقة نادرة وقد تكون الوحيدة التي تؤرخ للحدث المحلي أو للأبطال الذين تجاهلهم أو لنقل لم يكتب عنهم التاريخ الرسمي بالقدر الكافي. في هذا الإطار نشير لشخصية الشيخ بوعمامة الذي ساهم بقدر كبير في المواجهات المسلحة للمستعمر الفرنسي في الجزائر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد صورته الشعر الشعبي في عدة قصائد.

إن المطلع على القصائد التي تغنت ببطولات الشيخ بوعمامة سيجد أن بعضها كان مغال في تصوير هذه الشخصية التي لا تخشى النار ولا الحديد ولا الخوف⁽⁵⁰⁾، وهنا ستظهر حنكة المؤرخ وتجربة في اختيار النماذج التي يمكن لها أن تخدم ما يُدون إذ لا بد هنا من التحري والتدقيق ومحاولة الابتعاد عما يشير لأوصاف الشخصيات التاريخية التي قد تمنح صفات خارقة وبعيدة عن الواقع التاريخي أحيانا، ولنا في البيت التالي نموذجا:

بُوعَمَامَةُ جَيْشُ الْعَدُوِّ مِنْهُ مَرْغُوشٌ *** عَارَفِينُوا بَطْلَ صَنْدِيدٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ⁽⁵¹⁾

في حقيقة الأمر يجد المؤرخ نفسه في هذه الحالة أمام خيارين: الخيار الأول، وهو عدم الاعتماد على هذا البيت لأنه من غير المعقول أن جيشا كالجيش الفرنسي بعتاده وقوته وبتاريخه الحافل بتدمير كل ما يعترضه قد يهاب ويرتعب من شخص وحيد لكونه معروف عند عامة الناس بالصالح، أما الخيار الثاني فهو الاستفادة منه لإبراز سلبياته بل للتأكيد على حقيقة تاريخية تختلف تمام الاختلاف عما ورد على لسان الشاعر وهي التي تفيد بكون الفرنسيين اعتمدوا كثيرا على ظاهرة الولاية ووظفوا المشرفين عليها وعلى الزوايا لمصالحهم.

مقابل الحيرة التي قد تنتاب المؤرخ حول البيت أعلاه فهو قد يطمئن مثلا لما قاله أحد الشعراء الشعبيين في بوعمامة والتفاف عدد كبير من العروش حوله قدموا من مناطق مختلفة خاصة أن الواقع يؤكد ذلك:

جَاؤْ مَعَاهُ أَهْلُ الْبَوَادِي وَجَمِيعُ الْعُرُوشِ *** وَزَيْدُ التَّلِّ مَعَ السَّوَاخِلِ يَا حُويَا
خُرْجُو ضِدَّ فَرَنْسَا كَفَرَةً وَحُوشِ *** مِنَ الْبَيْضِ حَتَّى الْبِرْوَاقِيَّةِ
قَالُوا يَا شَيْخَ عَلَى الْكَفَرَةِ مَا نُسْكُتُوشِ *** مِنَ الْقَصْرِ لِلْأَغْوَاطِ كُلِّهِ رَجْلِيهِ⁽⁵²⁾

خاتمة

إن الضرورة تدعو اليوم للاهتمام بالأدب الشعبي من منطلق كونه جزء من الموروث الثقافي مثله مثل المعالم الشاخصة يمكن تسخيرها لكتابة التاريخ وبالتالي يكفيننا من تناوله من منطلق وجداني محلي أو كبرامج تنشيط فولكلوري، لقد انتهى زمن التعاطف مع هذا المبحث والاكتفاء بتناوله في الندوات والملتقيات العلمية إذ لا بد له من احتلال مكانة مميزة بين بقية اختصاصات العلوم الإنسانية فقد أصبح في أغلب الجامعات العالمية تخصص علميا معترفا به وله كراسيه ومعاهد البحوث الخاصة به.

لابد للجامعات المغاربية ومراكز البحث والمعاهد الموكول إليها كتابة التاريخ من تحمل مسؤوليتها كاملة من أجل تخريج دفعات من الطلبة لهم إمكانيات ومعارف نظريات ومناهج متكاملة عن العمل الميداني لجمع وتوثيق وتصنيف وحفظ الذاكرة الشعبية. ومن بين الإجراءات التي يجب عليها اتخاذها، وبصفة رسمية لا عرضية، اعتماد مقررات وبرامج دراسية حول الأدب الشعبي في المرحلة الأولى من التعليم العالي ثم تخصص له شهادت عليا في المرحلة الثالثة.

من ناحية أخرى فقد أجزى الاعتماد على الموروث القولي والشهادات الشفوية خاصة وأن التحفظات التي كانت قائمة في وجه الشفوي كمصدر من المصادر الكتابات العلمية، وما الإستراتيجية الايجابية التي اتخذتها مدرسة الحوليات التاريخية الفرنسية Ecole des Annales من المدونة الشفوية في نهاية سبعينات القرن الماضي إلا خير دليل على ذلك وهي التي كانت من أشد المعارضين لها⁽⁵³⁾. وتعتبر نفس الروايات الشفوية في بعض الاختصاصات الأخرى العمود الفقري للدراسة، خاصة تلك التي تأخذ من العمل الميداني منهجا ووسيلة إذا ما تم التعامل معها بحرفية من خلال التثبت والتمحيص والتدقيق، نظرا لقيمة الشفوي في حياة الشعوب، ولما يحمله من معطيات قد تنير سبيل المؤرخ وترفع عنه غموض بعض الوقائع التاريخية التي أهمل ذكرها في المصادر الكلاسيكية.

الإحالات والهوامش:

- (1) لمزيد التعمق في مفهوم الأدب الشعبي أنظر: المرزوقي (محمد)، الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1967؛ رشدي صالح (أحمد)، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1971؛ ابراهيم (نبيلة)، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1974؛ مرسي (أحمد)، "الأدب الشعبي العربي: المصطلح وحدوده"، ندوة التخطيط ولجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي، الدوحة، قطر، 1984؛ البقلوطي (الناصر)، "التراث الشعبي: مفاهيمه ومواده"، مجلة الفنون والتقاليد الشعبية، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1998؛ عبد الحافظ (إبراهيم)، دراسات في الأدب الشعبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2013.
- (2) البقلوطي، التراث الشعبي...، نفس المرجع، ص 18-19.
- (3) يمكن القول أنالتراث الشعبي قد أصبح يعرف اليوم بالتراث الثقافي غير المادي خاصة في مستوى مواضيعه، أنظر المادة الثانية من اتفاقية اليونسكو لصون التراث الثقافي غير المادي لسنة 2003 وهي التي تحدد تعريف لهذا المصطلح.
- (4) المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس...، نفس المرجع، ص 17.
- (5) عمايرية (حفناوي)، "الجنوب الغربي التونسي خلال الفترة (1856-1919)، قراءة في التاريخ الاجتماعي من خلال الأدب الشعبي"، ضمن كتاب المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، تنسيق الهادي التيمومي، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص 622-623.
- (6) جماعي، التراث الشفوي، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، بيروت، 2015، ص 25.
- (7) الجوهري (محمد)، مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006، ص 42-43.
- (8) ابراهيم، أشكال التعبير...، نفس المرجع، ص 8.
- (9) نفس المرجع، ص 98.
- (10) يونس (عبد الحميد)، معجم الفولكلور، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 1983، ص 40.
- (11) بورايو (عبد الحميد)، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 71.
- (12) ابراهيم، أشكال التعبير...، نفس المرجع، ص 176.

- (13) ليسير (فتحي)، تاريخ الزمن الراهن: عندما يطرق المؤرخ باب الحاضر، دار محمد علي الحامي، تونس، الطبعة الأولى، 2012، ص 126-132.
- (14) فانسينا (يان)، المأثورات الشفاهية: دراسة في المنهجية التاريخية، ترجمة ودراسة أحمد علي مرسى، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981.
- (15) موسوعة التراث الشعبي العربي، سلسلة الدراسات الشعبية، القاهرة، 2012، المجلد الرابع، ص 63.
- (16) يونس، معجم الفولكلور...، نفس المرجع، ص 24.
- (17) البقلوطي، التراث الشعبي...، نفس المرجع، ص 22.
- (18) خريف (محي الدين)، الشعر الشعبي التونسي: أوزانه وأنواعه، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1991، ص 5.
- (19) القسنطيني (الكراي)، "الفقر والفقراء" الصادرة ضمن كتاب المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، تنسيق الهادي التيمومي، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص 20.
- (20) التيمومي (الهادي)، صغار الكسبة في البلاد التونسية، الحرفيون والتجار (العشرينات- ستينات القرن العشرين)، ص 458.
- (21) المكني (عبد الواحد)، أشهر قصيدة بذيئة في تاريخ تونس زمن الاستعمار الفرنسي، موقع الأوان الإلكتروني.
- (22) عمايرية، الجنوب الغربي التونسي...، نفس المرجع، ص 622-623.
- (23) القسنطيني (الكراي)، الاحتياج والمحتجون بتونس العاصمة في فترة الاستعمار الفرنسي (1851-1918)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000.
- (24) نفس المرجع، ص 101.
- (25) نفس المرجع، ص 195.
- (26) المكني (عبد الواحد)، النخب الاجتماعية التونسية زمن الاستعمار الفرنسي (1881-1956) الأشراف والبلدية مثالا، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بصفاقس، 2004، ص 37.
- (27) رغم أن هذا التوضيح موجود في الهامش إلا أننا نعتزف بقيمة توظيف المخزون الشفوي في هذا العمل، نفسه.
- (28) نفس المرجع، ص 111.
- (29) المكني (عبد الواحد)، شتات أهل وسلات من 1762 حتى بداية القرن العشرين، دار سحر للنشر، ص 111.
- (30) "تَا بَكْرَتِي شَرَدْتُ مَعَ الْعَزَابَةِ حَسَّتْ بِأَذِّ الشَّيْخِ وَالْقَطَابَةِ"، أنظر المكني، شتات أهل وسلات...، نفس المرجع، ص 107-108.
- (31) نفس المرجع، ص 108.
- (32) نفس المرجع، نفس الصفحة.
- (33) ضيف الله (محمد)، نو افذ على تاريخ نفاوة، المغاربة للطباعة، تونس، 2008، ص 97.
- (34) المرزوقي (محمد)، الدغباجي، مكتبة المنار، تونس، 1969، ص 224؛ المرزوقي (محمد)، الشهيد مصباح الجربوع (1914-1958)، مكتبة المنار، تونس، 1971، ص 71.
- (35) بلحولة (محمد علي)، الجهاد التونسي في الشعر الشعبي: مائة عام من تاريخ تونس 1855 - 1955، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، 1978، ص 11.
- (36) خريف (محي الدين)، الأدب الشعبي في تونس، دائرة المعارف التونسية، بيت الحكمة، تونس، 1992، ص 99.
- (37) المرزوقي (محمد)، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973، ص 338، ومعناه ستعودون في فصل الصيف هربا من الرياح الجنوبية الحارة.
- (38) نفس المرجع، ومعناه: لن نخضع للفرنسي لا سياسيا ولا جبائيا مادامت الصحراء أمامنا واسعة.
- (39) نفس المرجع، ص 339، ومعناه: تحملوا العطش وتوغلوا أكثر في الصحراء.
- (40) انظر: بن حمادي (صالح)، أساطير النشأة في الجنوب التونسي، تونس، 221 ص.

- (41) الفيتوري (عطية مخزوم)، "الشعر الشعبي موروثة ثقافيا ودوره في حركة الجهاد"، مجلة البحوث التاريخية، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا، العدد الثاني، يوليو 2015، ص 236.
- (42) نفس المرجع، ص 237-238.
- (43) نفزاوة هي ولاية قبلي اليوم وهي من أهم واحات الجنوب الغربي التونسي.
- (44) كانت معركة قبلي في 20 نوفمبر 1857 آخر معارك غومة قبل مقتله في وادي أوائل يوم 26 مارس 1958، انظر: بنبلغيث (الشيباني)، "كفاح الشيخ غومة المحمودي في جنوب تونس"، ضمن كتاب بحوث ودراسات في تاريخ تونس الحديث والمعاصر، الأطلسية للنشر، تونس 2001، ص 174-200.
- (45) ينظر في هذا الاطار من وثائق الأرشيف الوطني: صندوق 175، ملف 942، وثيقة 57، وهي رسالة من المشير محمد باي إلى أخيه الصديق بتاريخ 10 شعبان 1273هـ/ مارس 1857 م. أيضا: صندوق 184، ملف 1022، وثيقة 10، وهي تقرير من أمير المحلة إلى الدولة بتاريخ 29 محرم 1274هـ/ أوت 1857 م، ابن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الجزء الرابع، الطبعة الثانية، تونس 1989.
- (46) انظر في هذا الإطار: الطوير (محمد)، مقاومة الشيخ غومة المحمودي للحكم العثماني في إيالة طرابلس الغرب (1835-1855)، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، طرابلس 1988، الطبعة الأولى، ص 288.
- (47) بنبلغيث، كفاح الشيخ غومة...، نفس المرجع، ص 195.
- (48) الفيتوري، الشعر الشعبي موروثة ثقافيا...، نفس المرجع، ص 239.
- (49) بركة (بوشيبة)، " الفعل الثوري مظهر من مظاهر وحدة المجتمع الجزائري "، ضمن أعمال ملتقى مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2006، ص 333.
- (50) بن لباد (سالم)، تمثيلات الشعر الشعبي للشخصيات السياسية الشيخ بوعمامة، ابن باديس، عبد العزيز بوتفليقة، أطروحة دكتوراه، جامعة بؤكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، السنة الجامعية 2012-2013، ص 33.
- (51) نفس المرجع، ص 36.
- (52) بن رامي (مسعود)، الكثر المغمور في الشعر الملحون، قصر الكتاب، الجزائر، 1999، ص 22.
- (53) لومبار (جاك)، مدخل إلى الاتنولوجيا، ترجمة حسن قبسي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997، ص 12.

المصادر والمراجع:

- * ابراهيم (نبيلة)، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1974.
- * ابن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الجزء الرابع، الطبعة الثانية، تونس 1989.
- * البقلوطي (الناصر)، " التراث الشعبي: مفاهيمه ومواده"، مجلة الفنون والتقاليد الشعبية، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1998.
- * التيمومي (الهادي)، صغار الكسبة في البلاد التونسية، الحرفيون والتجار (العشرينات- ستينات القرن العشرين).
- * الجوهري (محمد)، مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006.
- * الطوير (محمد)، مقاومة الشيخ غومة المحمودي للحكم العثماني في إيالة طرابلس الغرب (1835-1855)، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، طرابلس 1988، الطبعة الأولى.
- * الفيتوري (عطية مخزوم)، "الشعر الشعبي موروثة ثقافيا ودوره في حركة الجهاد"، مجلة البحوث التاريخية، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا، العدد الثاني، يوليو 2015.
- * القسنطيني (الكراي)، الاحتياج والمحتجون بتونس العاصمة في فترة الاستعمار الفرنسي (1185-1918)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000.
- * المرزوقي (محمد)، الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1967.

- * المرزوقي (محمد)، الدغباجي، مكتبة المنار، تونس، 1969.
- * المرزوقي (محمد)، الشهيد مصباح الجربوع (1914-1958)، مكتبة المنار، تونس، 1971.
- * المرزوقي (محمد)، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973.
- * المكني (عبد الواحد)، أشهر قصيدة بديئة في تاريخ تونس زمن الاستعمار الفرنسي، موقع الأوان الإلكتروني.
- * المكني (عبد الواحد)، النخب الاجتماعية التونسية زمن الاستعمار الفرنسي (1881-1956) الأشراف والبلدية مثالا، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بصفافس، 2004.
- * المكني (عبد الواحد)، شتات أهل وسلات من 1762 حتى بداية القرن العشرين، دار سحر للنشر، 2002.
- * اليونسكو، اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي لسنة 2003.
- * بركة (بوشية)، " الفعل الثوري مظهر من مظاهر وحدة المجتمع الجزائري "، ضمن أعمال ملتقى مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2006.
- * بلحولة (محمد علي)، الجهاد التونسي في الشعر الشعبي: مائة عام من تاريخ تونس 1855 - 1955، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، 1978.
- * بن حمادي (صالح)، أساطير النشأة في الجنوب التونسي، تونس، بدون تاريخ.
- * بن رامي (مسعود)، الكنز المغمور في الشعر الملحون، قصر الكتاب، الجزائر، 1999.
- * بن لباد (سالم)، تمثيلات الشعر الشعبي للشخصيات السياسية الشيخ بوعمامة، ابن باديس، عبد العزيز بوتفليقة، أطروحة دكتوراه، جامعة بوبكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، السنة الجامعية 2012-2013.
- * بن نبلغيث (الشيواني)، " كفاح الشيخ غومة المحمودي في جنوب تونس "، ضمن كتاب بحوث ودراسات في تاريخ تونس الحديث والمعاصر، الأطلسية للنشر، تونس 2001.
- * بورايو (عبد الحميد)، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006.
- * بورايو (عبد الحميد)، في الثقافة الشعبية الجزائرية، دار اليمامة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.
- * جماعي، التراث الشفوي، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، بيروت، 2015.
- * خريف (محي الدين)، الأدب الشعبي في تونس، دائرة المعارف التونسية، بيت الحكمة، تونس، 1992.
- * خريف (محي الدين)، الشعر الشعبي التونسي: أوزانه وأنواعه، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1991.
- * رشدي صالح (أحمد)، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1971.
- * ضيف الله (محمد)، نو افذ على تاريخ نفزاوة، المغاربة للطباعة، تونس، 2008.
- * عبد الحافظ (إبراهيم)، دراسات في الأدب الشعبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2013.
- * عمايرية (حفناوي)، " الجنوب الغربي التونسي خلال الفترة (1856-1919)، قراءة في التاريخ الاجتماعي من خلال الأدب الشعبي "، ضمن كتاب المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، تنسيق الهادي التيمومي، بيت الحكمة، تونس، 1999.
- * فانسينا (يان)، المأثورات الشفاهية: دراسة في المنهجية التاريخية، ترجمة ودراسة أحمد علي مرسي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981.
- * لومبار (جاءك)، مدخل إلى الاتنولوجيا، ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997.
- * ليسير (فتحي)، تاريخ الزمن الراهن: عندما يطرق المؤرخ باب الحاضر، دار محمد علي الحامي، تونس، الطبعة الأولى، 2012.
- * مرسي (أحمد)، " الأدب الشعبي العربي: المصطلح وحدوده "، ندوة التخطيط ولجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي، الدوحة، قطر، 1984.
- * موسوعة التراث الشعبي العربي، سلسلة الدراسات الشعبية، القاهرة، 2012، المجلد الرابع.
- * يونس (عبد الحميد)، معجم الفولكلور، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 1983.